STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

Aesthetics of slowness in the narration of the Holy Quran; Surah Yusuf as a Sample

Dr. Ayman Ahmed Ali Alowaimiri alawaamry@gmail.com
Director of the Noor Center for Research and Scientific Consulting, Egypt

Abstract

This research is entitled (Aesthetics of slowness in the narration of the Holy Quran) and with the aim of showing the aesthetics of the slowness technique in narration in the Holy Quran by considering Surah Yusuf as a practical Sample. This research intends to unveil the aesthetic techniques in the Holy Quran, namely the techniques of dialogue and pause and their use in an artistic and semantic way and to examine the extent of its impact on narration and its semantic aims, which is beyond narration. And since it uses the Holy Quran as a material for the application of narrative and critical concepts and theories, it undoubtedly leads to an in-depth and important research that is not possible in any other text. Also, any study related to the Holy Quran will be an eternal research which survives on the wise sayings that God – the merciful - has preserved over the ages. This research conducted on descriptive and analytical method to observe and follow the artistic phenomena in Surah Yusuf, which slowness the narration in this surah; and This has been done with the aim of examining the slowness technique, discussing the structure of the narrative, and analyzing these two techniques to achieve objective results. It was determined that the art of dialogue is very widespread in Surah Yusuf; Even the conversational verses reach seventy-one verses from the total of ninety-eight verses, which is the number of verses in the surah. Finally, by examining the narration techniques, it becomes clear that these techniques, including slowness technique, cause a semantic balance in the surah.

Keywords: Aesthetics- Arabic Narratology- Surah Yusuf, Pause technique, Dialogue technique.

Citation: Alowaimiri, Ayman Ahmed Ali. Autumn & Winter (2020-2021) "Aesthetics of slowness in the narration of the Holy Quran; Surah Yusuf as a Sample, 2(3), 173-204. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2020-2021), Vol. 2, No.3, pp. 173-204

Received: March 2, 2021; **Accepted**: May 4, 2021

©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧

جماليات إبطاء السرد في القرآن الكريم؛ سورة يوسف نموذجًا

د. أيمن أحمد علي عبد اللطيف العوامري البريد الإلكتروني: alawaamry@gmail.com

مدير مركز نور للبحث والاستشارات العلمية، مصر.

الإحالة: العوامري، أيمن أحمد علي عبداللطيف. خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١). جماليات إبطاء السرد في القرآن الكريم؛ سورة يوسف نموذجًا. دراسات في السردانية العربية، ٢(٣)، ١٧٣-٢٠٤.

دراسات في السردانية العربية، خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١)، السنة٢، العدد٣، صص. ١٧٣-٢٠٤.

تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٣/٢ تاريخ القبول: ٢٠٢١/٥/٤

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها

الملخص

يستهدف هذا البحث بيان جماليات تقنيات إبطاء السرد في القرآن الكريم؛ متخذًا من سورة يوسف نموذجًا للتطبيق، ويتحرى البحث كشف اللثام عن جماليات استعمال القرآن الكريم تقنيات الحوار والوقفة، وتوظيف ذلك فنيًّا ودلاليًّا، ومدى تأثير ذلك في البناء القصصي، والآفاق الدلالية التي يفتحها ذلك التوظيف بما يتجاوز حدود السرد.يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يتخذ من القرآن الكريم مادة لتطبيق

المفاهيم والنظريات السردية النقدية، ولا شك أن ذلك يعطي الدراسة عمقًا وأهمية كبرى لا يمكن أن يمنحها أي نص آخر، كما أن أي دراسة تتعلق بالقرآن الكريم فهي دراسة تتسم بالخلود والبقاء؛ إذ تستمد بقاءها من الذكر الحكيم الذي حفظه الله -سبحانه- على مر العصور وكر الدهور.تُعَدّ هذه الدراسة ضرورية؛ لأن وقوع القصص في القرآن الكريم يثير إشكالية مفادها: مدى إمكان تطبيق النظريات النقدية على القرآن الكريم بوصفه نصًّا يتسم بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة بغض النظر عن قائله العظيم -سبحانه.استند الباحث إلى المنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد الظواهر التقنية لإبطاء السرد في سورة يوسف؛ بغية الوقوف على توظيف تقنية الوقفة، والحوار في بنية السرد، وتحليل هاتين التقنيتين؛ بغية الوصول إلى نتائج موضوعية.توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج؛ لعل أهمها: كان لتقنية الحوار حضور كبير جدًّا في سورة يوسف؛ حتى إن الآيات الحوارية بلغ عددها إحدى وسبعين آية من مجموع ثمان وتسعين آية هي عدد آيات السورة وقد كان لهذه التقنية توظيفها الفني والدلالي الفريد. وأخيرًا، من خلال دراسة تقنيات السرد في هذه السورة وجدنا أن استخدام هذه الأساليب، بما فيها تقنية إبطاء سرعة السرد في سورة يوسف، تسبب توازنًا دلاليًا فيها.

الكلمات الدليلية: جماليات إبطاء السرد، السردانية العربية، الوقفة، الحوار، سورة يوسف.

المقدمة

لا شك أن علم السرديات فرع من الأهمية بمكان بين اللسانيات الحديثة؛ لما له من النهوض بحركتي الأدب والنقد في عصر تباينت فيه وتمايزت الفنون الأدبية المختلفة والمناهج النقدية المتعددة، وآن الأوان لتوظيف هؤلاء وأولئك في خدمة المجتمع وحل مشكلاته وقضاياه، ولا يتأتى ذلك إلا بربط اللغة بالمجتمع والخروج بها من الحيز الأكاديمي النظري، وإطلاق سراحها من قيود الأرفف في بطون المجلدات وأمهات الكتب، وإن علم السرد قادر على أن ينهض بذلك العبء الكبير وأن يلعب هذا الدور الخطير إن أحسنَّا الاستلهام والاستجلاب والتوظيف؛ ومن هذا المنطلق وإيمانًا بعلم السرد واهميته كانت فكرة هذا البحث الذي جعلتُ مادته التطبيقية سورة من سور القرآن العظيم الذي اشتمل على أحسن القصص، وصار مادة ثرية للتطبيق في

حقول اللغة كافة ومجالاتها من قديم وحديث، ولما كانت سورة يوسف مبنية على القص والسرد، فإنها أفضل ما يمكن التطبيق عليه؛ لكونها سورة واحدة تناولت قصة واحدة؛ وهي سورة مكية، ما عدا آياتها من الأولى والثانية والثالثة والسابعة، فمدنية، ومجموع آياتها مئة وإحدى عشرة آية، تلت في النزول سورة (هود) (الزمخشري، ١٤٠٧، ج٢، ص ٤٤٠)، وقد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وخاتمة تكتنفان ثلاثة مباحث، ويذيل الجميع فهرس المصادر والمراجع، وقد حاولت أن أتحرى الإيجاز والاختصار ما وسعني الجهد وسمح به المقام؛ خشية الإبرام والخروج عما رُسِم من نظام، والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد، إنه سبحانه بصير بالعباد.

أولًا: أهمية الموضوع:

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يتخذ من القرآن الكريم مادة لتطبيق المفاهيم والنظريات السردية النقدية، ولا شك أن ذلك يعطي الدراسة عمقًا وأهمية كبرى لا يمكن أن يمنحها أي نص آخر، كما أن أي دراسة تتعلق بالقرآن الكريم فهي دراسة تتسم بالخلود والبقاء؛ إذ تستمد بقاءها من الذكر الحكيم الذي حفظه الله -سبحانه- على مر العصور وكر الدهور.

تُعَدّ هذه الدراسة ضرورية؛ لأن وقوع القصص في القرآن الكريم يثير إشكالية مفادها: مدى إمكان تطبيق النظريات النقدية على القرآن الكريم بوصفه نصًّا يتسم بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة بغض النظر عن قائله العظيم -سبحانه- ومن هنا انطلق الباحث من عدة فرضيات؛ لعل أهمها: أن القرآن الكريم نصٌّ جدير بالدرس النقدي واللغوي والبلاغي الأدبي؛ لكونه نصًّا تراثيًّا يمثل اللغة الغضة النضيرة التي لم تشبها شائبة، كما أن دراسة هذا النص العالي الذي هو في أعلى درجات إمكانات اللغة نفسها إنما يثري الدراسات اللغوية بوجه عام، ويقدم نموذجًا يثري التطبيق والممارسة، بل يثري التنظير نفسه.

ثانيًا: مشكلة البحث:

يثير الزمن الروائي أو القصصي إشكالية مفادها مدى تطابقه مع الزمن الحقيقي الواقعي، ومدى مراعاته لترتيب الأحداث، ومدى إمكانية التسريع والإبطاء في البنية الزمانية للسرد، ودلالة هذا الإبطاء أو التسريع ومدى توظيفه فنيًّا؛ ومن ثم فإن هذا البحث يتصدى لهذه الإشكالية من خلال التطبيق على سورة يوسف، ولا شك أن اتخاذ القرآن الكريم مادة للتطبيق في أي

دراسة إنما يمثل قيمة كبرى؛ لكونه نصًّا مثاليًّا تتوافر فيه الأبعاد الفنية والأدبية والسردية والتصويرية، علاوة على كونه يمثل النمط المعياري التركيب للعربية الموحدة؛ ما يجعله يمثل إمكانات اللغة العربية في مستوياتها العليا التي تفوق الحدود البشرية في الاستعمال.

ثالثًا: منهج البحث:

استند الباحث إلى المنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد الظواهر التقنية لإبطاء السرد في سورة يوسف؛ بغية الوقوف على توظيف تقنية الوقفة، والحوار في بنية السرد، وتحليل هاتين التقنيتين؛ بغية الوصول إلى نتائج موضوعية.

رابعًا: أسئلة البحث:

أثارت مشكلة البحث تساؤلًا رئيسًا؛ مفاده:

- ما أهم تقنيات إبطاء السرد في سورة يوسف؟

وقد تفرع عن هذا السؤال الرئيس بعض الأسئلة الفرعية التي أهمها:

- ما دور تقنيات الوقفة والحوار في إبطاء السرد؟
- كيف أثرت تقنيات الوقفة والحوار فنيًّا ودلاليًّا في بنية السرد؟

خامسًا: أهداف البحث:

لهذا البحث عدة أهداف يبتغي تحقيقها، تتمثل فيما يأتي:

١. بيان جماليات تقنيات إبطاء السرد في القرآن الكريم؛ متخذًا من سورة (يوسف) نموذجًا للتطبيق.
٢. كشف اللثام عن جماليات استعمال القرآن الكريم تقنيات الحوار والوقفة، وتوظيف ذلك فنيًّا ودلاليًّا.
٣. بيان مدى تأثير إبطاء السرد في البناء القصصي، والآفاق الدلالية التي يفتحها ذلك التوظيف بما يتجاوز حدود السرد.

سادسًا: مصطلحات البحث:

هناك بعض المصطلحات تدور حولها الدراسة وامن الأهمية بمكان تحريرها قبل الخوض في غمار السرد وتقنياته؛ وأهم تلك المصطلحات ما يأتي:

١. جماليات:

الجماليات جمع مفردها جمالية؛ وهي مصدر صناعي مصوغ من المصدر الطبيعي جمال؛ ومن ثم فهي تعني صفات الجمال من الحسن والانتظام والتناسق والمناسبة؛ وذلك لما في الجمال من حسن يكون في السلوك والسجايا (ابن سيده المرسي، ٢٠٠٠، ج ٧، ص ٤٥٢)؛ ومن ثم فإن جماليات تعني صفات الحسن والكمال على مستوى التذوق وعمل التقنيات في أي عمل كان.

٢. السردانية:

كلمة السردانية نسبة إلى السرد على غير القياس؛ فقد ورد من المسموع إلحاق ألف ونون قبل ياء النسب؛ كما في نحو: (شعراني، ولحياني، ورقباني، ورباني)، ومثله: (عقلاني، وعلماني)؛ وإنما يزيدون هذه الزيادة قبل ياء النسب للدلالة على أن صاحب الصفة قد زاد فيها زيادة غير اعتيادية (أبو جعفر النحاس، ٢٠٠٤، ص ٢٥٦)؛ وهذا يوضح الفرق بين شعراني الذي عظم شعر رأسه، وشعري الذي كثر شعر جسمه، وبين رباني الذي صادفته الرعاية ووافقته العناية حتى صار يرى بنور الله ويتصرف بحسب المقاصد الإلهية؛ كما هو الحال في الخضر -عليه السلام- وبين ربيّ المنسوب على الرب في كثرة دعائه والتجائه إلى ربه (أبو منصور الأزهري، ٢٠٠١، ج ١٥، ص ١٢٩)، وكذلك العقلاني الذي يتصرف من خلال الاحتكام إلى العقل في شأنه كله، وكذلك علماني؛ ولعل هذا يبين الفرق في نسبة من يفصل بين الدين والسياسة إلى علماني؛ فالدين قائم على العلم ولا تعارض بينهما، وغنما تكون نسبته الصحيحة إلى الجهل أو الجاهلية... حتى إنهم جعلوا الروحاني خاصًّا بالأطياف التي تمثل عالم الملائكة والجن (أبو حيان الأندلسي، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٦٣٠-٦٣١).

ومن خلال ما سبق فإن السردانية تغاير السرد من حيث إن كل حكي سرد؛ سواء أكان على جهة الفن الروائي القصصي أم على جهة ذكر أي أحداث اعتيادية بين الناس، وقد عرفوا علم السرد Narratology بأنه نظرية البنائيات السردية المستوحاة من البنيوية لفحص بناء سردي، أو لعرض وصف بنائي؛ فيحلل عالم السرد الظاهرة السردية إلى أجزائها؛ محاولًا تحديد الوظائف والعلائق، على أن كل نظريات السرد تميز بين المسرود (القصة the story) وبين كيفية سرده

(الخطاب the discourse) (يان مانفريد، ٢٠١١، ص ٥١)، أما السردانية فتعني العلم الذي يبتغي الوصف المنهج للسمات المميزة للنصوص السردية؛ ما يعني أنها تضم في حيزها الأدبيات النظرية والتطبيقات في دراسة منهجية للبنية السردية.

٣. إبطاء السرد:

إبطاء السرد هو تقنية يستند إليها القاص لإبطاء الحركة الزمنية للأحداث؛ من خلال استناده إلى عدة تقنيات؛ منها: الوقفة، والمشهد، والحوار؛ بغية تحقيق دلالات فنية، علاوة على تزويد المتلقي بما يحتاج إليه للفهم والربط والتحليل والاستنتاج لاتساق السرد والأحداث في البناء الدرامي الفني.

٤. تقنية الوقفة:

هي تقنية فنية زمنية تتمثل في تعطيل السرد وتعلق الحكاية؛ لاستطراد المؤلف أو ما يُعرَف بتدخلات المؤلف (القاضي وآخرون، ٢٠١٠، ص ٤٧٨)؛ ومن ثم يمكن تعريف الوقفة بأنها (كل انقطاع في مجرى السرد؛ سواء من خلال الوصف أم الاستطراد في ثوب التعليق والتأمل، وإبداء الانطباعات والملاحظات، وفيها تتجلى روح السارد وبصمة تجاربه وخبراته وعصارة حياته؛ ومن ثم فإن تقنية الوقفة فيها ما فيها من تضافر روح الفن وما فيه من تشويق وإثارة وإمتاع من ناحية، وظل الواقع المتمثل في عقل السارد وشخصيته من ناحية أخرى)؛ ومن ثم فبحسب جيرار جينيت لا تقتصر الوقفة على الوصف. (٢٠٠٠، صص٤٢-٤٣)، وأراني متفقًا معه فيما ذهب إليه من عده زمن الوقفة خارج زمن القصة (جينت، ١٩٩٧، ص ١٠٨).

٥. تقنية الحوار:

وتُعرَف أيضًا بتقنية المشهد غالبًا (جيرار جينت، ١٩٩٧، ١٠٨)، يُعَدّ الحوار من أهم تقنيات السرد، ومسرح لتعدد الأصوات؛ سواء أعوان السرد المتخيلين أم عونا السرد الواقعيين (المؤلف والقارئ)، وله وظائف شتى؛ منها: الإيهام بالواقع أو ما يمكن تسميته بالواقع الافتراضي، والوصف، والتزويد بالأخبار، وبيان صفات وملامح الشخصيات، علاوة على دفع عجلة الحركة الحكائية داخل البناء الفني الروائي أو القصصي، والحوار بحسب القاضي (٢٠١٠، ص ١٥٩) هو الأقوال المتبادلة بين شخصين فأكثر منذ لحظة الالتقاء إلى لحظة الافتراق مع ما يصحب هذه

الأقوال من هيئات وإيماءات وحركات، وكل ما يخبر عن ظروف التواصل ترد جميعها في شكل خطاب إسنادي.

ويمكن بالاستناد إلى ما سبق تعريف الحوار بأنه تقنية زمانية تستند إلى أقوال متبادلة بين شخصيات حقيقة أم متخيلة؛ يعتمد عليها المؤلف في إبطاء حركة السرد لدواعٍ فنية تخدم حركة السرد وتحيط المتلقي علمًا بالأحداث وطبائع الشخصيات، وتتداخل فيها تقنيات الاسترجاع والاستشراف وغيرهما من التقنيات السردية.

سابعًا: الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات سابقة تناولت الموضوع، استفاد منها الباحث ومهدت له الطريق وألقت أمامه بأضواء كاشفة ازالت وحدته ووحشته؛ ولعل أهم هذه الدراسات ما يأتي:

١. دراسة دفة بلقاسم (٢٠٠٧):

بعنوان: (بنية الخطاب السردي في سورة يوسف؛ دراسة سيميائية)، مجلة الموقف الأدبي، المجلد (٣٧)، العدد (٤٣٨)، استهدفت الدراسة تناول قصة يوسف -عليه السلام- بالاستناد إلى معطيات العلوم اللسانية؛ كعلم السيميائيات، والسرديات، والأصوات التمفصلي la phonetique وقد توصل البحث إلى نتيجة عامة مفادها أن مصدرية السرد في الخطاب القرآني تحيل إلى الله - سبحانه وتعالى- وتستهدف تحقيق المعانقة للإسلام، وتكشف للمتلقي عن عقيدة التوحيد.

٢. دراسة كمال غنيم (٢٠١١):

بعنوان: (بناء السرد القصصي في سورة يوسف)، مجلة جامعة الأقصى سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، استهدفت الدراسة بيان الشخصيات الرئيسة في القصة، وأوضحت أن معظم الشخصيات جاءت متطورة تستند إلى البعد المادي في رسم ملامح الشخصية؛ فكانت صفة جمال يوسف محركًا في صناعة الأحداث، علاوة على البعد الاجتماعي في طبيعة العلاقة بين يوسف -عليه السلام- وإخوته من أبيه، وقد تميزت لغة يوسف بغلبة الحوار على السرد، وامتلكت تكثيف القصة القصيرة، ودقة السيرة، وسردية الرواية، وحوارية المسرح، ودرامية السينما بكل ما فيها من سلاسة الانتقال من مشهد إلى آخر.

٣. دراسة حسين كياني وآخرون (٢٠١٣):

بعنوان: (دراسة نقدية في توظيف الاسترجاعات في قصة يوسف عليه السلام؛ دراسة على أساس نموذج جيرار جينت)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع عشر، وقد استهدفت الدراسة تناول تقنية الترتيب الزمني من خلال دراسة الاسترجاعات التي تتناول الأحداث الماضوية وتعيدها لأهداف خاصة؛ بغية بيان فاعلية الاسترجاعات ومدى تأثيرها في قصة النبي يوسف -عليه السلام- في القرآن الكريم، وقد استند الباحثون إلى المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى أهداف الدراسة، ومن أهم النتائج التي توصلوا إليها أن الاسترجاعات في قصة يوسف -عليه السلام- تؤدي إلى انسجام القصة، وأن الاسترجاعات الداخلية هي الأكثر حضورًا؛ وهو الأمر الذي كان له دور كبير في السرد العنقودي للقصة المتمحور حول رؤيا يوسف والمنتهي بتأويلها في نهاية القصة.

التعليق على الدراسات السابقة:

هناك بعض أوجه التشابه والتلاقي بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية، كما أن هناك أوجهًا للاختلاف والافتراق؛ وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولًا: أوجه التشابه:

١. اتخاذ سورة يوسف محلًا للدراسة.

٢. تناول البنية السردية.

ثالثًا: أوجه الاختلاف:

تعنى الدراسة الحالية بتقنية إبطاء السرد وبيان جمالياتها من خلال تقنيتي الوقفة والحوار؛ وهو الأمر الذي لم تتناوله الدراسات السابقة، وإن تناول بعضها إحدى التقنيتين على سبيل الإحصاء.

المبحث الأول: خصائص السرد القرآني

على الرغم من أن السرد القرآني هو في حقيقته سرد لأحداث تاريخية، فلا يمكن الحكم عليه بأنه سرد تاريخي محض؛ إذ يبتغي السرد القرآني الوصول إلى العبرة والموعظة من وراء الحوادث المسرودة؛ ومن ثم لا يحفل بذكر تفاصيلها أو بيان ترتيبها؛ ومن هنا يكتسب هذا السرد المعجز

صفة الأدبية والبلاغية التي لا تتعارض بحال من الأحوال مع التاريخ، بل إن في التاريخ من القصص ما يمثل قمة الأدبية بما تحمله من فنيات وإمتاع وتشويق، وقد اتفقت الكتب السماوية مع القرآن الكريم فيما جاء به من قصص؛ كما هو الحال في قصة الخلق والتكوين، وفتنة آدم وخروجه من الجنة، علاوة على قصة نوح والسفينة، إلى جانب قصص سليمان وداود وموسى، وإنما يقع الاختلاف بين القرآن والكتب السابقة في التفاصيل التي لم يحفل بها القرآن؛ لكونه ينتهج التوظيف ويبتغي الغاية والعبرة؛ مستندًا إلى إمكانات العربية في الإيجاز بما يجعل التفاصيل تحصيلًا للحاصل، والذي أريد أن أؤكده أنه لا تعارض بين الواقعية التاريخية وبين الأدبية؛ وليس أدل على ذلك من أدب السيرة الذاتية، فهو أدب في غاية الأدبية والفنية على الرغم مما فيه من سرد لوقائع تاريخية تمثل قصة حياة الأديب، وما أدب الرحلات منا ببعيد؛ فعلى الرغم مما فيه من سرد لأحداث ووقائع ومشاهدات، فهو أدب ينضح بالفن والأدبية والنزعة البلاغية المحببة للنفوس والتي تتوق لقراءته جماهير المتلقين... وهذا نفسه هو ما ذهب إليه الناقد ديفيد لودج (David Lodge) (١٩٩٦، ص ٨٣) في مقاله (الروائي في مفترق الطرق).

إن المتأمل للسرد القرآني ليلاحظ عليه مجموعة من السمات المميزة التي تجعله سردًا خالدًا يخاطب الإنسان في كل الأزمان في كل حضارة أو طور أو بنيان؛ ومن تلك السمات:

١. الشخصية النمطية أو المقولبة:

إن عناية السرد القرآني بالشخصيات إنما تأتي من منطلق القيمة التي تمثلها؛ سواء أكانت قيمة إيجابية أم سلبية؛ ومن ثم فالشخصيات في القرآن تمثل رموزًا لأنماط إنسانية كبرى تتكرر عبر التاريخ ومراحل الحياة البشرية المختلفة، وعلى هذه الشاكلة يمضي السرد القرآني؛ معتنيًا بالدلالات؛ سواء انبثقت من شخوص حقيقية أم من طوائف وأنواع في الناس؛ فنرى الأنبياء والمرسلين والصالحين بأسمائهم؛ كمحمد، وعيسى، وموسى، وإبراهيم، ونسمع بإبليس وفرعون وهامان وقارون، كما نجد حضورًا لرجال يسبحون ربه بالغدو والآصال، ورجل يأتي من أقصى المدينة يسعى، كما نجد المطففين والهمزة اللمزة، والمجاهدين، والمؤمنين، والكفار... وعلى سبيل التمثيل أتناول بعض الأعلام التي تناولها القرآن قاصدًا دلالاتها الخالدة لا شخوصها العابرة

الفانية؛ وهي طريقة تمثل منهجًا في السرد القرآني الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان؛ ومن ذلك على سبيل التمثيل والتدليل لا الإحصاء والاستقصاء:

١-١.شخصية تمثل الظلم والطغيان:

تتحول الشخصيات الظالمة أو الطواغيت والجبابرة في السرد القرآني إلى رموز للاستبداد والطغيان؛ حتى إن تلك الأعلام تنتقل من الحيز الضيق للعلم الشخصي إلى رحابة الطوائف واتساع الأنواع والأجناس التي يمثلها علم الجنس؛ فبقيت دلالتها تتجدد وتتردد عبر العصور ومرّ الدهور؛ فقد فنيت الشخصيات وبقيت الدلالات؛ فاتسمت بالخلود والبقاء تحكي قصة الإنسان عندما يتكبر ويتجبر؛ قائلًا لفرط حمقه وجهله: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٠]؛ فصارت الفرعونية اتجاهًا فكريًّا ولقبًا يتداوله الناس في الأوساط السياسية وعند الكلام عن حقوق الإنسان وما يلاقيه من ألوان الضيم والهوان، لم يكن فرعون على حقيقة شخصه -سواء أكان علمًا أم لقبًا لحكام مصر في حقبة تاريخية معينة ولا يعنينا هذا الخلاف الشهير- سوى رمزًا للعلو في الأرض والاستكبار بغير الحق.

١-٢.شخصية تمثل الشح والفخر:

تُعَد القارونية صفة راسخة في البشر؛ فما من إنسان إلا والشح في نفسه، على أن {مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، كما أن الفخر تميل إليه النفوس؛ لما فيه من إظهار القيمة وحصد الإعجاب والتأثير في الآخرين واستقطابهم، بل إن الفخر ومقدماته من الجمع والتكثير صار مشغلة للناس عن كل أمر في حياتهم؛ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر: ٢]، على أن تلك الخصال المجبولة عليها النفس الإنسانية إنما يكبح جماحها الإيمان والعلم ومعرفة الله -سبحانه- الملك الحق ذي الكبرياء؛ فتتصاغر النفوس وتخضع وتخشع، على أن العجيب أن يجتمع الشح والفخر والاستعلاء في نفس عالمة عرفت الله؛ فتنسب لنفسها العلم والاستطاعة وتنفي عن المعطي عطاءه وإحسانه؛ فيقول أحدهم في غفلة وعماية ناسبًا الفضل لنفسه: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص: ٧٨]؛ فكيف يقول ذلك وقد علم أن الله -سبحانه- {قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} [القصص: ٧٨]؛ فصار قارون علم جنس يمثل تلك السجايا المنكرة التي لا يخلو منها زمان أو مكان.

١-٣.شخصية تمثل الانحرافات والشذوذ:

لا يخلو زمان أو مكان من منتكسي الفطرة الذين لعبت بهم الشياطين واستحوذت عليهم وسدت عليهم أقطارهم؛ فنزلت بهم في دركات سحيقة من الحيوانية والشيطانية؛ فصاروا أشباه بشر أو أشباه شياطين؛ حتى إن فعل قوم لوط صار علمًا على الانحرافات والشذوذ بكل ألوانه المظلمة الجهنمية؛ يقول القرآن عن هؤلاء القوم؛ مستهجنًا عقولهم ونفوسهم وقبح أفعالهم: {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} [العنكبوت: ٢٩]، بل إنهم لا يقبلون شخصًا سويًّا بينهم، ولا يرضون إلا بخروجه من بينهم؛ إذ توجعهم استقامته وتذكرهم بانحرافهم، وتطعنهم طهارته التي تفضح دنسهم وقذارتهم؛ {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: ٥٦]؛ وها نحن أولاء نرى الفاسدين والمنحرفين وأهل الشذوذ يصفون المصلحين والأتقياء بالرجوعية والتخلف وغير ذلك من النعوت التي تحمل في أثنائها الإقصاء والإخراج والطرد والرفض، لا لشيء إلا أن أولئك الرجوعيين قوم يتطهرون...

٢. التوظيف والتوجيه:

السرد القرآني ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة فنية تعليمية يوظفها القرآن على حسب المقام والسياق ومقاصد السور المختلفة؛ ومن ذلك التوظيف الفني المقاصدي ما يأتي:

٢-١.التفنن بما يناسب السياق:

إن التفنن الذي هو إيراد المعنى الواحد بعبارات متعددة تتفاوت فيما بينها من حيث الدلالة؛ بما يجعلها مناسبة لسياقات مختلفة قد يبدو ذلك من باب التكرار، لكنه لا يحمل من التكرار إلا ما تحمله بنيته السطحية، بيد أن التدقيق والنظر وربط كل عبارة بسياقها يفتح باب الدلالة المتجددة على مصراعيه، ويوقف الناظر المتأمل على فوائد جديدة لم يقف عليها عند الذكر الأول، والذي يهمنا في أنواع التكرارات القرآنية وما فيها من تفنن ما وقع في سياقات القص القرآني والسرد، وسأتناول بعض مناحي التفنن بما يسمح به المقام؛ فمن ذلك:

قصة موسى عليه السلام- وهي أكثر القصص حضورًا بشكل لافت للانتباه؛ إذ ورد ذكرها في أربعة وثلاثين سورة؛ هي (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف – يونس – هود – إبراهيم – الإسراء – الكهف – مريم – طه – الأنبياء – الحج – المؤمنون – الفرقان –

الشعراء – النمل – القصص – العنكبوت – السجدة – الأحزاب – الصافات – غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الأحقاف – الذاريات – النجم – الصف – النازعات – الأعلى، وعلى الرغم من ذلك، فلا يشعر القارئ أو السامع بما في التكرار من الإملال أو الإضجار، بل تتشوف نفسه وتتوق للمتابعة والوقوف على التفاصيل الجديدة؛ سواء أكان ذلك بالتفصيل تارة أم الإجمال أخرى أم بالحذف ثالثة أم بالزيادة رابعة أم بالتقديم والتأخير خامسة أم بتغيير الصيغ والتراكيب سادسة...

٢-٢.بث الحكمة والدروس في أثناء السرد من خلال تقنياته:

إن البناء القصصي للقصة القرآنية محكم الفنية بعيد تمامًا عن الخطابية والمباشرة على الرغم من ان القرآن كتاب للدين وبيان المنهاج والشرعة، بيد أنه يبث الدرس والحكمة وخلاصة القصص في أثناء السرد وعلى السنة الشخصيات؛ ومن ذلك قوله جل شأنه: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٥٩]؛ فإن الحكمة من هذه القصة والدرس المستفاد إنما هو تعليم العباد أن الله -سبحانه- على كل شيء قدير، وقد جاء هذا المعنى على لسان بطل القصة في نسج قصصي فني غاية الإحكام والروعة والتناسق والتسلسل؛ حتى إن المتلقي ليعلم ماذا سيقول ذلك الرجل الذي أحياه الله بعدما أماته.

٢-٣.اختلاف صور سرد القصة:

إن المتأمل للسرد القرآني للقصة، ليلاحظ اختلاف السرد وتنوعه على صورة متعددة؛ لعل أبرزها ما يأتي:

(أ) التفصيل بعد الإجمال:

فترد القصة مجملة، ثم يتناولها السرد القرآني بالتفصيل؛ كما في قوله عزَّ من قائل: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ

عَدَداً (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً} [الكهف: ٩-١٢]؛ فجاءت القصة كلها مجملة في عبارة موجزة تتمثل في قوله تعالى: (أصحاب الكهف والرقيم)، ولا شك أن هذا فيه ما فيه من إثارة النفوس وتشويقها؛ لإقبالها على القصة واستماع ما فيها من احداث متضمنة العبرة والموعظة والدروس المستفادة والحكمة الخالدة.

(ب)الإشارة إلى نهاية القصة واستعمال تقنية االاسترجاع:

قد يبدأ السرد القرآني للقصة بالخاتمة او العاقبة، ثم من خلال تقنية الاسترجاع يكشف عن أحداثها وتفاصيلها؛ وذلك كما قوله تعالى: {طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} [القصص: ١-٤]، ذكر السرد القرآني في البداية إشارة إلى عاقبة فرعون؛ من خلال علوه في الأرض؛ أي: استكباره بغير الحق، وهي عبارة تشير إلى نهايته وعاقبته الوخيمة، ثم أخذ السرد يتناول القصة من خلال تقنية الاسترجاع.

(ج) الذكر المباشر دون مقدمات أو إشارات:

ومن أبرز النماذج على هذه الصورة سورة الفيل التي تناولت قصة أبرهة وجيشه الحبشي ورغبته في هدم بيت الله الحرام؛ مستكبرًا غافلًا عما سيحيق به وبمن معه من العذاب الأليم؛ فاستند السرد على التكثيف بعبارات مفعمة بالدلالة والإيجاز؛ يقول المولى جل شأنه: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ٢].

(د) استعمال تقنية الراوي الداخلي:

من أبرز النماذج التي تمثل هذه الصورة في السرد القرآني سورة الجن؛ إذ بدأت مباشرة في استماعهم القرآن وبيان حقيقة شأنهم وعقيدتهم وكيف أن سفيهم تقوَّل على الله وصدهم عن السبيل...الخ؛ قال تبارك وتعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} [الجن: ٢]؛ فقد استمعوا؛ أي: أحسنوا الإنصات، ثم قالوا (سمعنا)؛ أي: أبلغوا قومهم،

والملاحظ أن في هذه السورة الكريمة استعمل السرد القرآني تقنية السرد الداخلي، فالله -سبحانه- يأمر نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- أن يبلغ الناس بهذه القصة التي حدثت له مع الجن وإخبارهم هم انفسهم بذلك قومهم؛ فاتخذت السورة نمط الراوي الداخلي أو السارد المتضمن في الحكاية الذي يمثله الجن حتى نهاية السورة، وقد انتقل السرد بين الراوي الأساسي الذي يمثله المولى -عز وجل- وبين الراوي الداخلي من حين لآخر.

٣. المفارقات الزمنية:

لعل أبرز ما يميز السرد القرآني ما يُعرَف بالمفارقات الزمنية؛ وهي كل اختلاف بين زمن وقوع الأحداث في الحكاية بتسلسلها الزمني الطبيعي المترابط، وبين زمن السرد الذي يمسك السارد بعِنانه ويوجهه كيفما يشاء الفن وعلى حسب ما تقتضيه الدلالة والبناء الدرامي؛ ويُعرَف الأول بزمن الحكاية، والثاني بزمن الخطاب (برانس، ٢٠٠٣، ص ٢٤)، وإني أتفق مع صاحب الظلال سيد قطب -رحمه الله- في كون تلك المفارقات الزمنية التي يحفل بها السرد القرآني إنما مردها خضوع القصة في القرآن لمقاصد الدين والتشريع؛ ومن ثم لا يراعي السرد القرآني الترتيب الزمني والتسلسل المنطقي للأحداث؛ فمرة يتناول القصة من بدايتها، ومرة من منتهاها، وثالثة يتناولها السرد كاملة، على حسب السياق والمقتضى، وباعتبار العبرة والدرس المستفاد من كل جزء من جزئيات القصة (قطب، ٢٠٠٤، ص ١٦٢)، وعلاوة على ذلك فإن ترابط السرد القرآني أكبر وأعمق من مسألة الترتيب الزمني للأحداث في السرد؛ لأن القرآن الكريم يُنظَر إليه على أنه نص واحد بخطاب واحد لمتلقٍ واحد؛ هو الثقلان في زمان ومكان.

ولعل أبرز الأمثلة في السرد القرآني على المفارقات الزمنية قصة خلق آدم وسجود الملائكة وطرد إبليس؛ فالملاحظ أن القصة وردت في أكثر من سورة باختلاف في ترتيب الحكاية؛ يقول المولى تبارك وتعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣١-٣٤]؛ هنا جاء الأمر بالسجود بعد إنباء آدم إياهم

بالأسماء، في حين جاء في موضع آخر أن الأمر بالسجود بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه؛ يقول عزَّ من قائل: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)} [ص: ٧١-٧٤]؛ ولا شك أن تلك المفارقات إنما جاءت بناء على ما يقتضيه سياق كل سورة من طي بعض الأحداث، أو الاستئناف البياني، بيد أنني غير متفق مع ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن سجود الملائكة في البقرة بعد إنباء آدم لهم بالأسماء؛ لظهور فضيلة آدم حينئذ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١، ص ٤٢٠)؛ فإنما يكون ذلك مستقيمًا لو كان السجود وقع من الملائكة دون أمر من الله، بل جاء تعبيرًا منهم عن تقدير آدم وتعظيمهم بعد ظهور فضله وعلوم شأنه، وما كان لهم أن يسجدوا إلا لله، وهم في سجودهم لآدم إنما امتثلوا الأمر؛ تحية وتقديرا لله -سبحانه- على عظيم وعجيب صنائعه؛ كما يصفق أحدنا لفنان تحية بعد مشاهدة لوحته البارعة، ولله المثل الأعلى.

المبحث الثاني: توظيف تقنية الوقفة في سورة يوسف

كان لتقنية الوقفة توظيف مفعم بالدلالة في سورة يوسف؛ فقد استند إليها السرد القرآني لإبطاء حركة الأحداث من جهة، ومن جهة أخرى لبث بعض الدروس والعبر والمواعظ في بناء فني قصصي غاية في الإحكام وروعة التصوير؛ ومن تلك الدلالات:

١. الأنبياء والمرسلون بشر والعصمة من الله:

هناك تأكيد دائم من السرد القرآني أن الأنبياء بشر في نوازعهم وميولهم وضعفهم وما يعتريهم من عوارض الطبيعة الإنسانية؛ ومن ثم فينبغي أن يدرك الناس أن الصلاح والتقوى والإيمان أمور يمكن أن تصدر عن البشر ويتصفوا بها وتحكم حياتهم ومعاملاتهم في حلهم وترحالهم، وليست خارجة عن حدود البشر، لاحقة بالكمال والمثالية والملائكية، وإلا فلا معنى لكون هؤلاء العباد الصالحين المصلحين دعاة الله قدوةً ومثالًا وأسوة تُحتذَى، يسير على دربهم المفلحون المهتدون، وينسج على منوالهم من أراد النجاة في الدنيا والآخرة، وقد أدت تقنية الوقفة هذا المعنى في دلالة واضحة صريحة؛ كما في قوله جل شأنه: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:

٢٤]؛ ومن ثم تتجلى عفة يوسف -عليه السلام- في كونه قد هم بها؛ وهذا نازع ودافع إنساني طبيعي يبين أنه رجل مكتمل الرجولة، بيد أنه يجاهد نفسه ويجالد شهوته ورغباته، ولا يتأتى ذلك إلا بعون الله وعصمته وتوفيقه لمن كان من عباده المخلصين.

وعلى الرغم من كون الوقفة هنا متعلقة بقصة يوسف تعلقًا مباشرة، فإنها تتسم أيضًا بالعموم الذي يأبى الانحسار والتخصيص؛ إذ ترسم قاعدة كلية تصلح لكل زمان ومكان؛ فمن كان له عند مولاه رصيد صلاح وتقوى وإخلاص، فإن الله -سبحانه- يوفقه ويعصمه من الزلل ويصرف عنه السوء والفحشاء، لكن ينبغي لكل من كان هذا حاله وذاك مآله أن يدرك أن نجاته إنما كانت بعون الله وحده وصرفه السوء عنه؛ فيبرأ من الحول والقوة، ويردهما إلى صاحبهما الحقيقي، على أن نفي الهم بها لرؤية البرهان كما ذهب بعضهم (أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠، ج ٦، ص ٢٥٨) فيه أن رؤية البرهان تالية للهم، بل إن الهم علة الرؤية وسببها، وعلاوة على ذلك نفي الهم لا يبين فضل يوسف -عليه السلام- في مدافعة الشهوات والعوارض الطبعية الغرائزية القاهرة التي يغيب معها العقل ويرتفع الإيمان ويعمى البصر والبصيرة، اما البرهان، فالذي أراه أن يوسف -عليه السلام- عانى من سيطرة امرأة العزيز عليه في تلك اللحظة الغوائية؛ فهي من ناحية تغريه بكل ألوان المفاتن، ومن ناحية أخرى هي متمكنة منه؛ لكونه في بيتها، ومن ناحية ثالثة هي ذات نفوذ وجاه وسطوة وسيصدقها قومها في أي ادعاء تفتريه على يوسف إن لم يطع أمرها وفي كل هذا قلب يوسف متعلق بالحل الإلهي الذي سيأتيه من السماء وقد ضعفت حيلته وتعطلت فكرته؛ فصار بلا حول أو قوة؛ فكان البرهان عبارة عن ظهور جبريل له وإشارته إليه تجاه الباب؛ فأسرع إليه تلاحقه امرأة العزيز غاضبة محنقة.

٢. الرضا بالعذاب وعدم الوقوع في المعاصي:

إن الوقفة هنا ترسم شخصية يوسف -عليه السلام- ومدى إيمانه بالله؛ حتى إنه يرضى بالعذاب والسجن نظير رفضه وإبائه الوقوع في المعاصي والفواحش؛ يقول المولى عزَّ وجلَّ: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣].

ولا داعي هنا إلى القول بأن أفعل التفضيل ليس على بابه وأنه على أصل المعنى والمراد: السجن حبيب أو محبوب إليَّ وأن السجن ومخالطة النسوة أو مباشرتهن ليست محبوبة ليوسف؛ لأن في ذلك ادعاء بنفي البشرية عنه وحطًّا وتهوينًا لمجاهدته الشهوات والمغريات والفتن، وقد بينت الوقفة التعبيرية التشكيلية هنا ملامح شخصية يوسف النفسية الباطنية لا الظاهرية الشكلية؛ تلك النفس العامرة بالإيمان التي لا يرضيها إلا ما يرضي الله، على أن قوله: (وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ما هو إلا شكاية إلى الله ارتدت ثياب الشرط؛ لبيان مدى الضغوط التي تمارَس عليه وتمكن هؤلاء النسوة منه وانه لا يجد لنفسه خلاصًا أو فكاكًا من بين أيديهن؛ فدعا ربه ان يدخله السجن وينجيه من الفاحشة التي هي على رغمه، ولعله لو دعا ربه بالنجاة دون تقييد ذلك بالسجن، لأنجاه الله على أفضل وجوه النجاة، لكن يوسف -عليه السلام- أراد أن يكشف -وربه أعلى وأعلم- عن مكنونات نفسه واستعدادها للبلاء في سبيل الله، وعلى الرغم من أن الوقفة هنا أيضًا مرتبطة بحادثة معينة وشخص معين، فإنها تقدم درسًا خالدًا متجددًا للصالحين فيما يتعرضون إليه من اختبارات ومحن؛ فعليه أن يثقوا في نصر الله -سبحانه- وأن يخلصوا النية، وأن يكون رضاه أحب إليهم مما سواه؛ فحينئذ يأتي الخلاص والنصر والتمكين.

٣. التمكين بعد التمحيص:

لعبت تقنية الوقفة دورًا مهمًّا في تقرير القيم القرآنية والقواعد التي تحكم حياة الناس وتسوسهم وتوجه علاقتهم بخالقهم وبالكون؛ فبعد ابتلاء يوسف -عليه السلام- يأتيه التمكين والنصر وتدبير الله -سبحانه- وكيده لنصر عباده المؤمنين؛ يقول الله سبحانه: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ} [يوسف: ٧٦]؛ هنا تقرر الوصفة التعبيرية التشكيلية نواميس كونية تتمثل في رفع المولى -سبحانه- من يشاء درجات في الرفعة والارتقاء؛ ومن ثم فإن فوق كل ذي علم عليم؛ سواء أكان المقصود بالعليم الأكثر علمًا من ذي العلم، أم المقصود به المولى تبارك وتعالى؛ وعلى كلٍّ فهذا قاعدة ما أحوج طلاب العلم إليها في كل زمان ومكان قدمها إليهم السرد القرآني من خلال تقنية

الوقفة في تأصيل أخلاقي لآداب العالم والمتعلم؛ فيترتب على ذلك خفض الجناح والتواضع والرفق والسعي وراء الحقيقة لا الظهور والرياء والانتفاخ بحفظ شيء في حين غابت أشياء.

٤. شكر النعم وإظهار العبودية والتذلل لله:

رسمت الوقفة التعبيرية التشكيلية الملامح النفسية لنبي الله يوسف -عليه السلام- فقلبه عامر بالإيمان، يرجع كل نعمة وفضل إلى المنعم المتفضل -سبحانه- ملك الملوك، وحين أقبلت الدنيا عليه وازينت وحلت وراقت وارتقى منها أعلى الدرجات بعد غياهب السجن لم يستشعر القوة والاستغناء، بل سأل الله -سبحانه- أن يتولاه في الدنيا والاخرة، وأن يقبضه إليه مسلمًا في زمرة الصالحين؛ يحكي السرد القرآني أبعاد تلك النفس المؤمنة؛ قائلًا: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١]؛ هنا تمثل الوقفة التعبيرية منهاجًا وطريقًا قويمًا للمؤمنين في كل زمان ومكان؛ فهكذا تكون العبودية والشكر والخشوع ومعرفة الله -سبحانه- المنعم المعبود الحق.

المبحث الثالث: توظيف تقنية الحوار (المشهد) في سورة يوسف

كان لتقنية الحوار في سورة يوسف حضور كبير جدًّا؛ حتى إن الآيات الحوارية بلغ عددها إحدى وسبعين آية من مجموع ثمان وتسعين آية هي عدد آيات السورة؛ ما يعني أن الحوار مثل ٧٢,٤٥% من عدد الآيات؛ ما يجعلنا أذهب إلى القول بأنها سورة حوارية بامتياز، وقد كان لهذه التقنية توظيفها الفني والدلالي الفريد من خلال أنماطه المختلفة.

للحوار في سورة يوسف عدة صور؛ لعل أبرزها ما يأتي:

١. الحوار بين يوسف وأبيه:

على الرغم من كبر حجم السورة واعتمادها في مجملها على الحوار، فإن الحوار بين يوسف وأبيه -عليهما السلام- لا يتجاوز موضعين؛ أحدهما قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)} [يوسف: ٤-٥].

يوضح هذا الحوار ان بين يوسف وأبيه علاقة قوية فيها ما فيها من القرب والمحبة والعطف؛ فيوسف يرى أن أباه هو أقرب الناس إليه؛ حتى إنه خصه بقص الرؤيا، ومن فرط عطف أبيه عليه وخوفه يحذره من أن يقص تلك الرؤيا على إخوته؛ فيحسدوه ويكيدوا له بفعل الشيطان واستحواذه عليهم.

والموضع الثاني قوله جلَّ شأنه: {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠].

٢. الحوار بين يوسف وإخوته:

يبدأ حوار يوسف -عليه السلام- مع إخوته بعد مدة طويلة من إلقائه في غيابة الجب؛ وذلك بعد مثولهم بين يديه وقد صار على خزائن البلاد وقد عرفهم وهم له منكرون؛ ويدل ذلك على أنه كان مميزًا حين إلقائه وقد ظلت ملامحهم في ذاكرته محفورة لا يمحوها الزمان مهما توالى الحدثان، ومن الطبيعي أن ينكروه بعد أن خلع زغب الطفولة وارتدى حلة الشباب والرجولة، تجاوز السرد حواره معهم عند إلقائه في الجب، وأغلب الظن أنه لم يكن حوارًا بالمعنى التقليدي المعروف، بل بكاء طفل صغير مرتعب من مجهول رهيب ينتظره، وإخوة سدَّ أسماعهم وأبصارهم وعيونهم وقلوبهم حقد أسود مرير؛ حتى جاءه الوحي يطمئنه ويهدئ من روعه {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف: ١٥].

وبعد حين التقت الوجوه مرة أخرى وقد تغيرت الملامح أو نضجت؛ فوقع بينهم من الحوار ما اختزله السرد القرآني بما يمكنه تسميته بمعالم السرد؛ وهو حذف بعض الأحداث أو الحوارات استنادًا إلى معالم تشير إلى المحذوف؛ فقد استخبرهم يوسف عن خبرهم؛ فلما علم منهم بأن لهم أخًا صغيرًا يميل إليه أبوهم، طلب منهم أن يحضروه، وإلا فلينصرفوا عنه دون كيل (الطبري، ج ١٦، ص ١٥٤)؛ {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: ٥٩]؛ وهنا يعكس الحوار فطنة يوسف -عليه السلام- إذ أطمعهم عندما جهزهم بجهازهم وأوفى لهم الكيل، ثم اشترط عليهم إحضار أخيه؛ فلك يدع لهم مسلكًا إلا أن ينفذوا إرادته.

ويعكس الحوار الجفاء الظاهري المناسب للموقف القصصي والسياق الكلامي؛ فقد ناداهم المؤذن بقوله: (أيتها العير)، ولم يقل مثلًا: يا فلان أو يا بني يعقوب؛ لأن النداء الأول ينم عن الألفة والصحبة، في حين يدل الثاني على الجفاء والبعد، علاوة على مناسبته للاتهام {ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} [يوسف: ٧٠]، واستعمل الحوار المؤكدات (الجملة الاسمية، و(إنَّ)، واللام المزحلقة؛ لبيان مدى ثقة المتَّهِم بزنة اسم الفاعل في الدليل على إدانة المتَّهَم بزنة اسم المفعول، ثم يبين السرد القرآني من خلال تقنية الحوار المسرحي الذي يعكس البعد الفزيائي لحركة الجسد ودلالاتها مدى ثقة إخوة يوسف في أنفسهم؛ حتى إنهم لم يكتفوا بالسؤال: {مَاذَا تَفْقِدُونَ}، بل {أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ} إقبال الواثق بنفسه الذي يريد إيصال رسالة ضمنية فحواها التحدي من جهة، والتعاطف والرغبة في المساعدة من جهة أخرى.. بيد أن الحوار يكشف عن صدع نفسي جديد يضاف إلى محنة يوسف ومعاناته مع إخوته؛ إذ قالوا عن بنيامين بعد استخراج السقاية من وعائه: {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}، وهنا يتجلى ضبط النفس والحلم النبوي؛ إذ أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم.

وهنا يكشف الحوار عن النضج والتحول الكبير في شخصيات إخوة يوسف، ومدى توبتهم وندمهم على ما فعلوه في يوسف؛ إذ قالوا: {يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}؛ فلا يهمهم إلا حال أبيهم وما سينزل به من البلاء إن فقد ابنه الثاني المفضل لديه؛ حتى إن أحدهم ليرضى ويطيب نفسًا بأن يأخذه العزيز ويقتص منه بدلًا من أخيه الأصغر!

٣. الحوار بين العزيز وزوجته:

يبدو من الحوار بين العزيز وزوجته مدى ما تتمتع به الأخيرة من حظوة لديه وربما سيطرة على مقاليد حياتهما؛ حتى إنه يخاطبها بترفق ويجعل الرجاء ملطفًا لما ظاهره الأمر؛ {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١]؛ ويُفهَم من هذا الحوار أن العزيز وزوجته لم يرزقا بأبناء، وينم أيضًا أن يوسف -عليه السلام- كان طفلًا صغيرًا دون الحلم؛ وهذا ما تدل عليه كلمة (غلام) عند أرباب المعجمات من اللغويين والفقهاء (النووي، ١٤٠٨، ص ٤٧)، وعلى الرغم من أن يوسف كان ربيبها فلم يمنعها ذلك من مراودته عن نفسه؛ ولعل العزيز لم يكن شديد

القناة أو كانت أمور الحكم والسياسة تشغله عن القيام بواجبات لا ينهض بها سواه؛ فتراه ضعيفًا أمامها يبتلع ما لا تجريه الأنهار والبحار ولا تطيقه الأحرار؛ حتى إذا ما رأى قميص يوسف مقدودًا من دبر، ما كان منه إلا أن قال: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف: ٢٩]؛ إن هذا الموقف وتلك العبارة من العزيز فيها ما فيها من براعة السرد القرآني التي تحمل من المضامين ما يستحق عن جدارة أن يطلق عليه إعجاز معالم السرد؛ تلك المعالم التي تشي بالكثير، وتترفع عن الإفصاح بما لا يليق بهذا الكتاب العزيز، بل تضع له من الشفرات الدلالية ما فيه عبرة وعظمة لأولي الألباب الذين يتدبرون وتنفذ بصائرهم على أعمق من الحرف وأبعد الرسم.

٤. الحوار بين امرأة العزيز ونسوة المدينة:

تكشف تقنية الحوار هنا في هذه الصورة عن ميوعة المجتمع المترف في مصر وقتئذ؛ وهي حالة تكاد تكون عامة في كل زمان ومكان عند توافر الظروف المشابهة لما نحن بصدده، ويكاد لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات؛ إن هذه الطبقة منغمسة في الملذات الحسية دون رسالة أو مرجعية من القيم، تبحث عن الشهوات بصورها كافة مع غياب أو عدم توافر المنابع الشرعية للارتواء؛ ومن ثم فالأوتار مشدودة دائمة الاهتزاز والشحذ والاستنفار؛ يقلن فيما بينهن: {حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}، فيكون جواب امرأة العزيز: {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ}؛ ومن ثم فاللوم ليس مرده الأخلاق وليس منبعه القيم، بل أن يكون ذلك الذي شغفها حبًّا دون ما تبتغيه الغرائز وتصبو إليه القلوب؛ وها هي تصرح دون خجل بإصرارها على الفاحشة وتهدد وتتوعد، ومن الواضح أن المراودة لم تقع من امرأة العزيز وحده، بل كانت منهن جميعًا؛ وها يرسم لنا حالة من الهوس بالشهوات تجاوز مرحلة الخصوصية والاستقامة في العلائق الخاصة إلى الانغماس في مرحلة المشاعية الجنسية وما فيها من شذوذ تشمئز منه وتنقبض النفوس السوية ذات الفطرة الطبيعية المستقيمة؛ وهذا كله مفهوم من دعاء يوسف عليه السلام: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}؛ إذن هو

(كيدهن) لا (كيدها)، و(أصب إليهن)، لا (إليها)؛ إنها صورة لا تخفى على فطنة من له نظر بالمجتمعات المترفة رقيقة الدين؛ وما الغرب المعاصر منا ببعيد!

٥. الحوار بين يوسف وامرأة العزيز:

لا يحدثنا السرد القرآني عن الحوار بين يوسف -عليه السلام- وامرأة العزيز؛ وما ذلك إلا لكونه حديثًا اعتياديًّا بين امرأة وربيبها كما تجري الأحاديث الاعتيادية بين أي أم وابنها، كما أن السرد لم يبين كيف بدأت المراودة وهل طال الأمد حتى وصلت امرأة العزيز إلى التعلق التام بفتاها والشغف به الذي يجعلها تقول دون حياء: {هَيْتَ لَكَ}؛ وهي لفظة تحكي بمعناها الرغبة والشبق، وبصوتها حالة امرأة العزيز التي لم تمكنها من النطق إلا بهذه الصورة المتكسرة؛ حتى إن أرباب اللغة والتفسير قد حاروا في تفسير تلك اللفظة (أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠، ج ٦، ص ٢٥٦) التي هي من عبقرية النظم القرآني الذي لا يحكي فقط، بل يصوِّر أيضًا طالما أن في التصوير دلالة ومغزى وفوائد؛ فأصل (هيت) (تهيأت)، لكن امرأة العزيز قد أخذت منها الشهوة كل مأخذ وسدت عليها أقطارها؛ فخرجت منها الكلمة على تلك الشاكلة التي وردت في القرآن؛ وتلك حالة لا يسلم الرجال معها من الوقوع في المحظور، لا سيما أنه -كما عبر القرآن في دقة لا أروع منها- في بيتها، ولم يذكر اسمها أو كونها امرأة العزيز؛ وكان كون الرجل في بيت امرأة أجنبية منفردًا بها أدعى للفاحشة وأجلب للشهوات وانكشاف المغطى، وعلى الرغم من ذلك يصور الحوار رد يوسف الذي جاء كعمود الصبح في تلك اللحظات الحالكة المدلهمة: {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}، ويبدو أن هذا الجواب يمثل ردين إذا ما استندنا إلى معالم السرد؛ إذ كان يكفي يوسف أن يقول: (معاذ الله)، لكن يبدو أنها سألته: (من الله)، فأجابها: إنه ربي... كان يوسف -عليه السلام- راسخًا كالجبال، قويًّا لا يتزحزح عن الحق على الرغم مما في نفسه من ميل فطري لا يجعله مختلفًا عن أي رجل آخر يتمتع بعنفوان الشباب وحرارته وجمره المتقد؛ وهنا تتجلى روعته ومثاليته وكونه نموذجًا خالدًا للعفة والطهارة والتقوى...

٦. الحوار بين يوسف وصاحبي السجن:

عملت تقنية الحوار في مرحلة سجن يوسف -عليه السلام- على إظهار جانب الداعية في شخصية هذا النبي الكريم؛ إذ لا ينسى واجبه بوصفه داعي الله ولو في أحلك الظروف وأكثرها

وحشة وضعفًا وكآبة؛ إن هذا الجانب الدعوي في شخصية نبي الله الله يوسف يبين من خلال الحوار نورانيته المستمدة من نور الله؛ لكونه في معيته فلا وحشة ولا ضعف، بل الأمل ثم الأمل والرجاء الذي يترتب عليه العمل والاجتهاد؛ يقول مخاطبًا صاحبي السجن: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)}؛ ومن خلال معالم السرد يبدو أن السرد القرآني قد اختزل الحوار بحذف أسئلة صاحبي السجن عن هذه الملة وعن هذا الإله، وأبقى على كلام يوسف وحده الذي به تتحقق الغاية ويستفاد الدرس.

إن الحوار القرآني كما تمثله قصة يوسف -عليه السلام- حوار يختلف عما هو عليه في القصص البشري التقليدي؛ إنه حوار قد يُصرَّح فيه بكلام طرف من الأطراف دون غيره، وعلى الرغم من ذلك فكأن كلام بقية الأطراف يتردد صداه في الأسماع والعقول والقلوب؛ إنه السرد الإلهي الذي يعلو ولا يعلى عليه!

٧. الحوار بين يوسف والملك:

ينقل لنا السرد القرآني من خلال تقنية الحوار موقفًا واحدًا بين يوسف -عليه السلام- والملك في حوار صغير مقتضب، لكنه يمثل درسًا يعلم الناس أن كل ذي علم أو فن أو صناعة ينبغي أن يقدم نفسه ويعرِّف من يهمه الأمر بحقيقة حاله وكفاءته وكفايته؛ فبذلك يستقيم المجتمع وتنصلح أمور الدنيا شريطة أن يوسد الأمر إلى أهله بعيدًا عن الوساطة والفساد، وبعد اختبار حقيقي؛ فلم تكن دعوى يوسف مجرد قول أجوف يمكن أن يزعمه كل إنسان، بل كان حقيقة تؤيدها الأدلة والشواهد والبراهين، وما رؤيا الملك من ذلك ببعيد؛ إن يوسف قد أثبت للملك ولشعب مصر كله أنه حكيم رباني أوتي الحكمة والعلم من لدن حكيم عليم؛ فكان ترحيب الملك به وحفاوته وإكباره وإجلاله؛ قائلًا: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}؛ فجاء رد يوسف في الوقت المناسب؛ عارضًا إمكاناته وكفاياته: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}.

٨. الحوار بين إخوة يوسف:

من خلال الحوار بين إخوة يوسف -عليه السلام- يُفهَم أنهم قوم صالحون في حقيقتهم، لكن أغراهم الشيطان؛ بسبب اشتعال نيران الحقد على أخيهم المفضل لدى أبيهم؛ يقول المولى عزَّ وجلَّ: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)} [يوسف: ٧-٩].

هنا تتجلى حقيقة هذه النفوس الصالحة التي تتحرج وتستأثم وتدرك أنها مقدمة على خطيئة كبيرة، لكنهم بعد تخلصهم من يوسف سيستغفرون الله ويستكثرون من الصالحات عسى ربهم أن يتوب عليهم ويدخلهم برحمته في عباده الصالحين.

حتى إذا ما خالف قرارهم أحدُهم بفكرة فيها حياةٌ ليوسف وبقاء على نفسه، قبلوها على الفور؛ حتى إن السرد القرآني لم يذكر تعقيبهم على تلك الفكرة أو مناقشتها أو أي مخالفة لها؛ {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف: ١٠].

ثم يأتي حوارهم بعد أن فقدوا أخاهم الثاني بنيامين، ويتبين من خلال هذا الحوار أن أخاهم الأكبر كان معارضًا فكرة قتل يوسف، وأنه تحت ضغط إلحاحهم وإصرارهم على التخلص منه عرض عليهم أن يلقوه في غيابة الجب؛ إذ نسمع صوت العقل والإيمان المقترن باللوم والتعنيف والإحساس المفرط بالمسؤولية والذنب؛ {فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)} [يوسف: ٨٠-٨٢].

ولما كان الأخ الأكبر يظن أن بنيامين قد سرق وشاهد السقاية تُستخرَج من وعائه، فلم يشأ أن ينسبه إليه بجامع الأخوة وصلة الرحم؛ فلم يقل: (إن أخانا قد سرق)، بل قال: (إن ابنك)؛ وهذا فيه ما فيه من الدقة التعبيرية التي توضح المسافة النفسية الحواجز التي حالت دون الأخ

الأكبر والأخ الأصغر بسبب تلك الجريمة الشنعاء المزعومة التي حسبه على حسب الشواهد والظواهر والأدلة المصنوعة.

٩. الحوار بين إخوة يوسف وأبيهم:

تعكس تقنية الحوار بين إخوة يوسف وأبيهم من خلال معالم السرد أن علاقتهم بأخيهم يوسف حكمها التربص والمكائد المتكررة؛ حتى إن أباهم ما كان ليأمنهم عليه ولو للخروج به في الصحراء حيث المراعي والمضارب بدليل قراءة {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ١٢] بكسر العين في (يرتعِ) دليلًا على الياء المحذوفة جزمًا في جواب الطلب؛ كما هو في قراءة عامة أهل المدينة (الطبري، ٢٠٠٠، ج ١٥، ص ٥٦٩)؛ فيدل قولهم: {مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} على تكرار محاولتهم الانفراد بيوسف بعيدًا عن أبيه وبعيدًا عن أعين الرقباء، كما يدل على تكرار رفض يعقوب وتصديه لتلك المحاولات، بيد أن كلا الطرفين يخفي ما نفسه ولا يريد أن يصل إلى مرحلة المكاشفة؛ ومن ثم يخفي موقفه وراء الأعذار والمسوغات؛ وها هو يعقوب يبين لهم سبب رفضه ذهاب يوسف معهم على الرغم من أن خروجه سيدخل على نفسه البهجة والفرحة؛ يقول: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}، لكنهم يقرعون الحجة بالحجة ويلقون العصا التي تلقف تلك المسوغات؛ فيأتون بالقول الفصل الذي لا يملك معه الأب سوى الإذعان؛ {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ}؛ إن هذه المصارعة اللفظية الحوارية تنم بوضوح عن مدى انعدام الثقة والتربص في جو الأسرة الذي تكتنفه المكائد وتحيط به المؤامرات، وينتقل السرد القرآني مغفلًا رد يعقوب الذي لا بد أنه استسلم ولم يحر جوابًا؛ فيذكر مباشرة أنهم ذهبوا به، واجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب؛ فيكون الحذف أمارة على موقف أحد المتحاورين واستسلامه وانهزامه؛ وكأني بيعقوب -عليه السلام تعتصر قلبه الرحى بشق القلق والخوف على يوسف، وشق الحرج والانفحام وانسداد الأقطار أمام بنيه.. وهكذا لعبت تقنية الحوار دورًا كبيرًا في قصة يوسف -عليه السلام- لبيان معالم السرد وتوضيح ما لم يُذكَر من الأحداث، علاوة على بيان الانفعالات والمشاعر التي تغلفت بها الكلمات والعبارات.

النتائج

في نهاية هذا البحث المتواضع الذي هو جهد المقل والمعنون بـ (جماليات إبطاء السرد في القرآن الكريم؛ سورة يوسف نموذجًا)، تناولت فيه تقنيتي الوقفة والمشهد أو الحوار، علاوة على محاولة رسم سمات السرد القرآني، وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج، واتخذت بعض التوصيات. **يتميز السرد القرآني بعدة سمات؛ لعل أهمها هي تناول الشخصيات النمطية المقولبة التي تصلح لكل زمان ومكان في مسيرة الإنسان.** ثم عمل **السرد القرآني على التوظيف والتوجيه بما يتناسب مع السياق؛ حذفًا وذكرًا وتفصيلًا وإجمالًا.** ثم **بث الحكمة والدروس من خلال تقنيات السرد المختلفة.** ومن ثم لعبت تقنية الوقفة دورًا جماليًّا كبيرًا في قصة يوسف، وأسهمت في إبطاء حركة السرد؛ من خلال إبراز بعض الدلالات التي أهمها: أولا: أن الله سبحانه لا غالب إلا هو. وثانيا: أن الأنبياء والمرسلون بشر والعصمة من الله. ثم لعبت تقنية الحوار دورًا جماليًّا كبيرًا في إبطاء حركة السرد، وكان عليها المعول في بيان الأحداث ما ذُكِر منها وما لم يُذكَر؛ استنادًا إلى معالم السرد، وقد تعددت صور الحوار في سورة يوسف؛ ولعل أهم تلك الصور: الحوار بين يوسف وأبيه والحوار بين يوسف وإخوته. ثم اتخذ البحث بعض التوصيات؛ لعل أهمها: ضرورة دراسة سور القرآن جميعًا من منظور سردي، والموازنة بينها لبيان طبيعة السرد في كل ومناسبته لموضوع الصورة؛ بما يكشف عن مخدرات جماليات السرد القرآني الخالد. ثم نقترح دراسة سورة يوسف وغيرها من سور القرآن من منظور تربوي؛ لاستلها الدروس المستفادة والمواعيظ الخالدة. وأخيرا نقترح دراسة سورة يوسف على مستوى الشخصيات؛ لبيان ملامحها النفسية والاجتماعية وتوظيفها في حركة السرد.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٢٠٠٠)، المحكم والمحيط الأعظم، (طبعة، ١)، بيروت: دارالكتب العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (١٩٨٤)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (١٩٩٨)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، (طبعة، ١)، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- برنس، جيرالد (٢٠٠٣)، المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، ترجمة: عابد خزندار، (طبعة، ١)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- جينيت، جيرار (٢٠٠٠)، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم، (طبعة، ١)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- جينيت، جيرار (١٩٩٧)، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، (طبعة، ٢)، القاهرة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (١٤٠٧)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (طبعة، ٣)، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٢٠٠٠)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (طبعة، ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القاضي، محمد وآخرون (٢٠١٠)، معجم السرديات، (طبعة، ١)، لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
- قطب، سيد (٢٠٠٤)، التصوير الفني في القرآن، (طبعة، ١٧)، القاهرة: دار الشروق.
- لودج، ديفيد (١٩٩٦)، الروائي في مفترق الطرق، الرواية اليوم، إعداد: مالكوم براديري، ترجمة: أحمد عمر شاهين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (٢٠٠٤)، عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، (طبعة، ١)، القاهرة: دار ابن حزم.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (١٤٠٨)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، (طبعة، ١)، دمشق: دار القلم.
- يان، مانفريد (٢٠١١)، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، (طبعة، ١)، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

Refrences

- Holy Qur'an
- Prince, Gerald (2003). The Narrative Terminology (Glossary of Terms) Translated by: Abed Khazndar (Edition, 1), The Supreme Council of Culture.
- Jeannette, Gerald (2000), Back to Story discourse, Translated by: Mohammad Mu'tasim, (Edition, 1), Casablanca: The Arab Cultural Centre.
- Jeannette, Gerald, (1997), Story discourse: A Study of the Approach, Translated by Mohammad Mu'tasim et al. (edition, 2), Cairo: The General Authority for Emiri Press.
- Abu Hayyan Al- Andalusy, Mohammad bin Yusuf bin Ali bin Hayyan Atheer Al Dean (1998). Ertishaf AlDarb min Lissan Al-Arab: Investigated, Explained and studied by Rajab Othman Muhammad, (Edition, 1), Cairo: Al-Khanjy Liberary.
- Al- Zamakhshary, Abu Al-Qassim Mohammad Amr Bin Ahmed Jaallah (1407), Elkashaf A'n Haqaiq Ghawamid Al tanzil, (Edition,3), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Araby.
- Ibn Sayyidah Al- Mursy, Abu Al-Hassan Ali bin Ismail (2000), AlmuHkam wa AlmuHit AlA'zam, (Edition, 1), Beirut, Dar Al Kitab AlElmia.
- Al Tabary, Abu Ja'far Muhammad Ibn Jarir Ibn Yazid kathirIbn Ghaleb Al- Amaly (2000), Jamia' Al Bayan Fi Ta'weel Al qura'n, Ahmed Muhammad Shaker. ed. (Edition, 1), Beirut: Al Resala Foundation.
- Qutb, Syed (2004). Al TaSweer Alfanni Fi AlQur'an, (Edition, 17), Cairo: Dar Al- Shrouk.
- Ibn Ashour, Mohammad bin Mohammad Al - Tahir Al- Tunsi (1984), Al TaHrir wa Altanweer, Tunisia: Tunisian Publishing House.
- Al Qadi, Mohammad et al. (2010), Dictionary of Narratives, (Edition, 1), Lebanon: Al Entishar Al Araby Foundation.
- Lodge, David (1996), The Novelist at the Crossroad: The Novel Today, prepared by: Malcolm Braderi, Translated by: Ahmed Omar Shaheen, Cairo: The Egyptian Public Authority for Book.
- Al- Nahhas, Abu Jaafar Ahmed ibn Muhammad Ismail ibn Yunis Al-Muradi (2004), Omdat Al- kuttab, Bassam Abdel Wahab Al Jaby ed. (Edition, 1), Cairo: Dar Ibn Hazm.
- Al- Nawawy, Abu Zakaria Muhyiddin Yahya Bin Sharaf (1408). Tahrir Alfaz Altanbeeh, Abdel Gahny Al Doqr, (Edition,1) Damascus: Dar Al-Qalam.

- Yan Manfred (2011) Narration: An Introduction to Narrative Theory, translated by: Amany Abu Rahma, (Edition, 1), Damascus: Nineveh House for Studies, publishing and distribution.

مطالعات روایت شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

زیبایی شناسی تکنیک کند کردن سرعت روایت در قران کریم: بررسی موردی سوره حضرت یوسف

د. أيمن أحمد علي عبد اللطيف العوامري رایانامه: alawaamry@gmail.com
مدیر مرکز پژوهشی و مشاوره های علمی نور، مصر

چکیده

این پژوهش با هدف بیان زیبایی شناسی تکنیک کند کردن سرعت روایت در قرآن کریم و با تمرکز بر بررسی این تکنیک در سوره انجام شده است. این پژوهش به دنبال کشف برخی تکنیک‌های زیبایی شناسیک در قرآن کریم مانند فنون گفتگو، مکث، به کارگیری هنری و معنایی آن‌ها و بررسی میزان تأثیر آنها بر ساختار داستانی و افق‌های معنایی در قرآن، به ویژه سوره یوسف انجام شده، که فراتر از حد روایت است. این پژوهش از آن‌رو مهم است که به قرآن کریم به عنوان ماده‌ای برای تطبیق مفاهیم و نظریه‌های روایی انتقادی می‌نگرد. یقینا این مسأله باعث تولید یک پژوهش عمیق و مهم می‌گردد که در هیچ متن دیگری امکان پذیر نیست. همچنین، هر مطالعه‌ی مرتبط با قرآن کریم، پژوهشی ابدی و جاودان خواهد بود که بقای خود را از این اثر حکیمانه‌ی خداوند می‌گیرد. این پژوهش از آن‌رو ضروری است که وجود داستان‌ها در قران این پرسمان اساسی را مطرح می‌کند که تا چه میزان می‌توان نظریات نقدی جدید را بر قرآن به عنوان یک متن کامل ممتاز به بالاترین مراتب فصاحت وبلاغت اعمال کرد. پژوهشگر با تکیه بر روش وصفی تحلیلی به رصد پدیده‌های تکنیکی مرتبط با کند کردن سرعت روایت در سوره قرآن پرداخته است؛ این کار با هدف بررسی تکنیک مکث و گفتگو در ساختار روایت این سوره و تجزیه و تحلیل این دو تکنیک برای دستیابی به نتایج عینی انجام شده است. نتایج نشان داد که فن گفتگو در سوره یوسف حضور بسیار گسترده‌ای دارد تا جایی که آیات محاوره‌ای از مجموع کل آیات سوره یوسف یعنی نود و هشت آیه، به هفتاد و یک آیه می‌رسد. البته این تکنیک‌ها هر کدام دلالت هنری و معنایی خود را در سوره دارد. در نهایت با بررسی تکنیک‌های روایت پردازی مشخص شد که این تکنیک‌ها از جمله تکنیک کند کردن سرعت روایت در سوره یوسف باعث ایجاد تعادل معنایی در آن می‌شود.

کلید واژه‌ها: زیبایی شناسی کند کردن سرعت روایت قرآن، روایت شناسی عربی، سوره یوسف، تکنیک کند کردن سرعت روایت، تکنیک گفتگو.

استناد: العوامری، أیمن أحمد علی عبد اللطیف. پاییز و زمستان (۱۳۹۹). زیبایی شناسی تکنیک کند کردن سرعت روایت در قران کریم: بررسی موردی سوره حضرت یوسف. مطالعات روایت شناسی عربی، ۲(۳)، ۲۰۴-۱۷۳.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۹، دوره۲، شماره۳، صص. ۲۰۴-۱۷۳.
دریافت: ۱۳۹۹/۱۲/۱۲ پذیرش: ۱۴۰۰/۲/۱۴
© دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه خوارزمی وانجمن ایرانی زبان وادبیات عربی